يعنون جان ميشال بالميي في مقال"تشكّلات اللاّوعي"، اللاّوعي كمكان للآخر، أفهم منه أنّ، بمفهوم التّطبيق، الأنا منشطرة بتشظّي الدّال، وأنّ اللاّوعي، هو بالفعل، ذلك الجزء من الخطاب الملموس، العابر للأفراد، الذّي يفتقر إليه خطابي إلى حين يعود له اكتماله، وحقيقته بصورة خاصّة، بتعبير لاكان، [1]في هذا التّعبير تنبني المرافعة عن اللاّوعي، في تمييز بين الفلسفة والتّحليل النّفسيّ. فعبارة" تكلّم لنعرفك" تشي، في حدود التّطبيق الرّياضيّ، بالكلمات ذات المعنى المزدوج، ما يجعل البنية المعكوسة في لبس، يختفي فيه جواب مكان اللاّوعي، أي، اللاّوعي هو خطاب الآخر، يشرح معنى أنّ الرّسالة اللّغويّة تأتينا من الآخر؛ بطرح الكلام للمعرفة نكون نضع اللّغة وسيلة نتوّسط بها في ولوج هذا الخطاب، الآخر الّذي لا يمكن إلاّ أن نستل منه الرّغبة، الموضوع الّذي يستعصي، في بعضه أو في كثير منه، على التّدمير، باعتباره، أي الآخر، المكان الّذي يحتله الكلام عن لا وعي الذّات. الآن، نحن في خضم تناول الخياليّ، الرّمزيّ، والواقعيّ...من مقال كاترين كليمان؛ في بيانها للآخر، في دور السّلطة، الأب أو القانون أو النّظام الثقافيّ تحديدا، ومواضيع الرّغبة، في دور الأمّ، والأنا، في مكان التّعلق بين السّلطة والرّغبات، في بنية هي الذّات. جان ميشال بالميي يفكّك بنية الذّات بوجودها، حيث الأنا ورغباتها، والآخر الّذي يتشكّل فيه الوجود، بسؤال ينفي الكوجيطو الدّيكارتيّ؛ أنا لا أفكّر...أنا غير موجود، عبارة تعني تبعيّة تشكيل الإنسان بنظام الدّال؛ يستتر في نفي الكوجيطو انعكاس الخيالي وشغفه، بتعبير كاترين، حيث العلاقة بين المرآة واللاّوجود معيار، تمرّ به الذّات إلى حياتها، بل، بلغة العلم الفيزيائيّ، تتسارع الذّات في وعييها، خارج الاكتمال التّشريحيّ في المحور المخّي الشّوكيّ، تنفتح له تعارضات بين الهويّة والجسد، وتجادلات في الزّمن، بوهم التّماهي المكانيّ، بلغة كاترين.[2]تدفعني المرآة إلى إسقاط آخر، أربطه بالأنويّة في مواقف، لا تفترق عن المرآة في وظيفتها، أين تستبق الأنا ذاتها، بين زمنين، أو في جدل زمنيّ، عبّر عنه جاك لاكان تعبيرا عميقا، بين التّقدم التّذكريّ والتّراجع الخياليّ، حيث الصّورة مستوحاة من الجدل الزّمنيّ الهيجليّ؛ هنا، العلاقة في عمق ثنائيّة سيّد/خادم، تستدعي الوظيفة الرّمزيّة، ولأنّ الخيالي، ضمن مرحلة المرآة أو الموقف الشبيه بها، في استمراريّة الأنويّة، كفعل خادع للذّات، فإنّ الرّمزيّة لها وظيفة، تستدعي سياقا ثقافيّا، تعطيه اللّغة معنى. ذلك أنّ الرّمز، ثقافيا، له نظامه المبنين باعتباره لغة؛ وبالنتيجة تجد استمراريّة الحوار فاعليتها وقوّتها المدفوعة في الطابع المؤسس للكلام، لذلك يذهب لاكان إلى أنّ الذّات تنغرس منذ البدء في نظام قائم بشكل مسبق، وذي طبيعة رمزية، وهو اللّغة والكلام. إنّ النّظام الرّمزي يبيّن أنّ بنية اللاّوعي مبنية كونها لغة، وهكذا فالكلام وقانونه هو الحكم بين الذّات والآخر، وهو الذّي يجعل العلاقة الإنسانيّة ممكنة ويمنعها من التّدهور إلى الاقتتال؛[3] يتوضّح هذا النّظام بأمثلة متعدّدة، بتعدّد الثّقافات، التّعمّد، التّختن، التّوشم...فالقبر ثقافة الدّفن، في تأبيد الرّغبة، حيث الرّمز هو الرّباط، أو بالأحرى، الغياب هو ضمان الرّغبة، من أجل ذلك، تكون الوظيفة الرّمزية قاعدة، ليس فقط لكلّ فعل علاجيّ، وإنّما لكلّ استمرار في علاقة.

جوديث بتلر تصدّر حدود الحكم، في مؤلّفها"الذّات تصف نفسها"، بميشال فوكو، "الفيلسوف المقنّع":"لا أستطيع إلاّ أن أحلم بنقد يتجنّب إصدار الأحكام ويكتفي ببثّ الحياة في مجموع أعمال كاتب ما، أو في كتاب، أو جملة، أو فكرة...إنّه لن يضاعف عدد الأحكام بذلك، بل علامة حياة".[4]وهي بهذا، في سياق التّواصل، تضع الاعتراف خارج الاختزال في الحكم، وتفرّق بين القانون والأخلاق، فالاعتراف الاجتماعيّ يقتضي تعليق الحكم؛ بسؤالها، هل يوفّر الاعتراف إطارا أوسع يمكن داخله تقويم الحكم الأخلاقيّ نفسه؟، تكون قد فتحت بابا، ليس، فقط، في قيمة الأخلاق، ولكن، في تقديري، مراجعة العلاقة بالأغيار، بمفهوم نفسيّ بنيويّ، يحدّد السّلوك بالثّقافة، وبشكل أدقّ، بلاوعي التّواصل؛ إصدار الحكم يسبقه تكوين علاقة يعرّفها سؤال جوديث: بمن أنت؟، تُسقط، من الإسقاط، فيها المقارنة بالمخاطبة، شرطا، للقيمة الأخلاقيّة للحكم، يتجنّب أن تعمل الإدانة في اتّجاه

---

[1] المصدر نفسه، 65.

[2] المصدر نفسه، 29.

[3] مصطفى صفوان، الكلام أو الموت، 87.

[4] جوديث بتلر،الذّات تصف نفسها، 98.

ضدّ أن أعرف ذاتي، و ما يمسّ بالقاعدة المشتركة في فعل التّواصل، في حدود الاعتراف المتبادل، أين تكون رهينته تبديد العتمة تجاه الذّات، تلك المحدوديّة الّتي تضعنا في شيء من معرفة النّفس، في الانحراف عن العنف الأخلاقيّ، في بناء الثّقة الّتي هي أساس الحوار. أستفهم، من وجهة نظري، المعياريّة في المقابلة العياديّة، وفي الحوار الاجتماعيّ، بالأخلاق والرّمزيّة الاجتماعيّة...أقصد أنّ لغة السّرد في التّعريف بالذّات قد ترتكز على العاطفة اللاّشخصيّة، أي على اللّغة بوصفها تكلّفا، نبحث عبرها مسألة الذّات؛ من أنت؟، توجّه يتغي تأسيس سياسة في علاقة، تقبل معرفة الآخر بالنّسبة لي، تضع العنف الأخلاقيّ في هذا البعد السياسيّ، حيث تصوّر الكينونة السياسيّة في مقابلة الكينونة الاجتماعيّة تنفتح له قراءات، ذلك أنّ المقدرة على الكلام تجلّي هذه المقابلة، وتعطي للأخلاق معنى، لا يتوافر في أيّ تجمّع غير إنسانيّ، مما يحيل كلمة العنف إلى غياب العقل، أو بالأحرى، اللّغة، فهي وحدها ذات معنى فعليّ في وجود، الهمّ الأوّل فيه أن نتخاطب؛ يسحبنا التّقابل إلى طرح علّة التّعايش، فهل هي اقتصاديّة، بالدّرجة الأولى والأخيرة، أم هي نفسيّة؟.